



www.alkashif.org

مركز الكاشف للمتابعة و الدراسات الاستراتيجية

متى تنهار الولايات المتحدة؟

القسم الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة العدد

يتناول هذا العدد ملفاً من الملفات الساخنة والمهمة وهومتى تنهار الولايات المتحدة الأمريكية؟ وهو ملف لا بد لكل منابع ومهتم بالتحدي الأمريكي أن يلم ويحيط به، إذ أنه يسلط الضوء على جانب من العوامل الأساسية التي ستدفع بالولايات المتحدة الى الإتهيار، مثلما إنهارت قبلها سائر القوى العظمى والإمبراطوريات الغابرة. (لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستنخرون ساعة ولا يستقدمون/يونس ٤٩).

وسيتكون هذا الملف من عدة أقسام لكي تتم الإحاطة النسبية بعدد لآبأس به من المقالات والدراسات والأبحاث والكتب ذات العلاقة ، والغرض من هذا كله هو وضع القارئ في أجواء الملف وألوانه المختلفة لكي تكون عوناً في فهم واستيعاب الأبعاد المختلفة لهذا الموضوع الحساس والمهم.

وفيما يلي أهم الأفكار الواردة في هذا العدد:

ومثل كل نظام فإن للإمبراطورية دورة حياة عضوية : تلقيح وحمل وميلاد وطفولة ومراهقة وبلوغ وشيخوخة وموت. فبعد ان لقحتها الامبراطورية البريطانية ، نضجت المستعمرة الامريكية ومارست ماتعلمته من مهارات امبريالية على المواطنين الاصليين ثم خرجت الى العالم بتدخلات عسكرية وهي تحدد مناطق منافعها واستولت على الامبراطورية الاسبانية وتوسعت في ارجاء العالم وحتى هيمنت على الفضاء كهدف، وهي الآن في طور الشيخوخة وتتوء بمهام الحفاظ على الهيمنة مما تعجز عن المزيد من التوسع

ومن المتوقع حدوث كارثة اقتصادية للجمهورية الامريكية في اعقاب انهيار وسقوط النظام الساعي (الى الحفاظ على استقرار العالم من اجل اقتصادنا وانفتاحه لغزونا الثقافي)

إن حالة إنجلترا تشير الى أن الامبراطورية يمكن ان تكون عبئاً. وقد بدأ انهيار الامبراطورية منذ فترة طويلة ولكن سقوط جوهرة التاج : الهند بسبب خليط من النضال السلمي (غاندي) والنضال المسلح عجل بذلك. وقد تفككت الامبراطورية بسرعة كبيرة خلال ١٥ سنة من عام ١٩٤٧. وإنجلترا؟ هي اليوم أغنى من أي وقت في التاريخ

وقد كانت نبوءة هذا الكاتب في ١٩٨٠ ان الامبراطورية السوفيتية لن تنهار بسبب عامل منفرد وانما بسبب (تزامن نضوج التناقضات واتباعها فساد وانحلال الصفوة في المركز والاطراف) مع انهيار جدار برلين في مرحلة مبكرة خلال ١٠ سنوات

آلية الانهيار والسقوط لم تكن بسبب دوي حرب وانما بسبب فساد الصفوة الذين بعد ان حكموا بالحديد والنار ، انغمسوا بالرشاوي والكحول والتخمة وعبادة الذات

إن توقع إنهيار وسقوط الامبراطورية السوفيتية بنى على تكاتف خمسة تناقضات وكان الوقت المتوقع لنضوج هذه التناقضات هو ١٠ سنوات في ١٩٨٠

أما توقع إنهيار وسقوط الامبراطورية الامريكية فهو مبني على تكاتف ١٤ تناقضا ، والوقت المتوقع لنضوج هذه التناقضات هو ٢٥ سنة اعتبارا من عام ٢٠٠٠. وهنا التناقضات أكثر لأن الامبراطورية الامريكية أكثر تعقيدا. والفترة اطول ايضا بسبب هذا التعقيد

بعد الاشهر الاولى لتولي الرئيس جورج بوش ، نقص الوقت الى ٢٠ سنة بسبب أسلوبه الذي كثف كثيرا من هذه التناقضات وبسبب تطرفه الذاتي الذي أعماه عن رؤية التناقضات السلبية والمعقدة . وهو يستمر في هذا الاسلوب

وإذا كان أحد لا يشك في أن الولايات المتحدة ستبقى القوة الأعظم في جميع ميادين النشاط الاقتصادية والعسكرية والتقنية والعلمية ، على مدى العقدين القادمين على الأقل، وبعض الباحثين يعتقد أنها ستحافظ على تفوقها خلال القرن الواحد والعشرين كله، فإنني من الذين يعتقدون بالمقابل أن السياسات الجديدة التي تبلورت على يد الإدارة الأميركية الجمهورية في عهد الرئيس جورج بوش الابن لا يمكن أن تستمر ومن الممكن أن تقود الولايات المتحدة إلى مآرق عديدة

وفي هذه الحالة يمكن للسياسات الأميركية المغامرة والممقوتة أن تكون السبب في التسريع بولادة نظام عالمي تعددي وقانوني معا

وبالمثل فإن تورط الولايات المتحدة المتزايد في الحروب الإقليمية البعيدة عنها سوف يشكل لها استنزافا ماديا ومعنويا يحرمها من فرص الاستفادة من التوسع العالمي والتحكم بالموارد الإستراتيجية في سبيل حل مشاكلها وأزمته الاقتصادية الداخلية

ولذلك إذا كان من الصحيح أن أميركا لن تنجح في إخضاع العالم وقطع الطريق على بناء عالم جديد وأنها سوف تقع في مطبات عديدة وتواجه مقاومات فعلية تكلفها غالبا هنا وهناك، فإن من الخطأ أن نستنتج من ذلك أن واشنطن سوف تتراجع بسهولة أو أنها لا تملك النفس الطويل للاستمرار واستيعاب الهزائم والعودة مجددا للقتال

إن جموح الإدارة الأميركية إلى توسيع دائرة الحرب تحت أسماء مختلفة كالحرب ضد الإرهاب أو من أجل تأمين السلام ونزع أسلحة الدمار الشامل أو ضد الأنظمة الدكتاتورية سيتزايد بقدر ما تواجهه من صعوبات ومقاومات هنا وهناك

ولذلك فإن من يراهن على صعوبات واشنطن فى منطقة من المناطق متأملاً أن تتراجع عن سياستها الهجومية سيكون واحماً جداً، على الأقل فى مدى السنوات القليلة القادمة

ويحلل على مدى هذا الكتاب مستويات ثلاثة من الاعراض، هي: التحلل الداخلى، وإعراض معظم الاميركيين عن انتخاب قيادتهم، وصعود قوى عسكرية اولغاركية، اي اقلية متحكمة، الى السيطرة على القرار الاميركى

ان مختلف الاعراض التي مر بها الاتحاد السوفيتى تعاني منها الولايات المتحدة الامريكية، ولا يرى امكانية ما للتوفيق بين المتناقضين، فى هذه الموجبات، على المستويين: الاقتصادى والاستراتيجى التوسعى

المحتويات

٦ سقوط الامبراطورية الامريكية
٦ بقلم: يوهان غالتونج*
٦ ترجمة دورية العراق - ٢٠٠٤/١/١٤
٢٤ الإمبراطورية الأميركية.. صعود أم سقوط؟
٢٤ بقلم/برهان غليون/ كاتب سوري - ٢٠٠٦/٥/١٧
٢٨ سقوط الامبراطوريات على ضوء فلسفة التاريخ
٢٨ الدكتور الحاج علي فياض / مدير المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق - ٢٠٠٣/٤/٨

سقوط الامبراطورية الامريكية

بقلم: يوهان غالتونج*

ترجمة دورية العراق - ٢٠٠٤/١/١٤

نبوءة لا بد أن تقرأها : لماذا وكيف ومتى وأين وعلى يد من ، تنهار وتسقط الامبراطورية ؟

تعريف و(فرضيات): نظرة عامة:

تعريف :الامبراطورية هي نظام عابر للحدود له مركز واطراف في مكان وزمان واسعين وتسمح شريعة ثقافته بشكل من التبادل غير المتكافىء بين المركز والاطراف:

اقتصادياً : بين المستغلين (بكسر الغين) والمستغلين (بفتح الغين) وهذه هي اللامساواة. عسكرياً : بين القتلة والضحايا ، وهذا هو الاكراه. سياسياً : بين القاهرين والمقهورين ، وهذا قمع. ثقافياً : بين الطاردين والمطرودين ، وهذا تداع.

إن الامبراطوريات لها أشكال مختلفة. والامبراطورية الامريكية لها هيكل يشرحه أحد مخططي البنتاغون: (ان دور القوات المسلحة للولايات المتحدة هو المحافظة على استقرار العالم من اجل اقتصادنا والانفتاح على غزونا الثقافى. ومن اجل هذين الهدفين سنقوم بمقدار لا بأس به من القتل.)

بكلمات اخرى ، عنف مباشر من اجل حماية العنف الهيكلى المتأصل في ثقافة عنف. ان المركز هو الولايات المتحدة و الاطراف هي اجزاء كبيرة من العالم. ومثل كل نظام فإن للامبراطورية دورة حياة عضوية : تلقيح وحمل وميلاد وطفولة ومراهقة وبلوغ وشيخوخة وموت. فبعد ان لقتها

الامبراطورية البريطانية ، نضجت المستعمرة الامريكية ومارست ماتعلمته من مهارات امبريالية على المواطنين الاصليين ثم خرجت الى العالم بتدخلات عسكرية وهي تحدد مناطق منافعها واستولت على الامبراطورية الاسبانية وتوسعت في ارجاء العالم وحتى هيمنت على الفضاء كهدف، وهي الآن فى طور الشيخوخة وتتوء بمهام الحفاظ على الهيمنة مما تعجز عن المزيد من التوسع .

إن الانحدار والسقوط شيان متوقعان كما يحدث لكل شيء بشري ولكن السؤال هو : ماذا ولماذا وكيف ومتى واين وبيد من و ضد من ؟

الاجابة:

ماذا : هي انماط التبادل الاربعة غير المتساوية والتي لا يمكن الابقاء عليها ، المذكورة اعلاه. لماذا : لأنها تسبب معاناة و مرارة لا يمكن احتمالهما.

كيف : من خلال تعاون وتزامن نضوج المتناقضات الاربعة عشر ، التي يعقبها فساد وانحلال صفوفة النظام. متى: في حدود إطار زمنى ، مثلاً ٢٠ سنة بإحتساب عام ٢٠٠٠.

أين : إتماداً على مستوى نضج المتناقضات. بيد من : المستغلين (بفتح الغين) والمحرومين والمقهورين والمطرودين ، والمتضامنين معهم ، واولئك الذين يقفون بوجه الامبراطورية الامريكية من اجل ان يقيموا امبراطوريتهم . ضد من : المستغلين (بكسر الغين) والقتلة والقاهرين والطاردين واولئك الذين يدعمون الامبراطورية الامريكية طمعا في المكاسب.

المسلح عجل بذلك. وقد تفككت الامبراطورية بسرعة كبيرة خلال ١٥ سنة من عام ١٩٤٧. وإنجلترا؟ هي اليوم أغنى من أي وقت في التاريخ.

١. الامبراطورية : نظرة شاملة

فور حدوث جريمة ١١ ايلول / سبتمبر ٢٠٠١، وزع "لنتان جروسمان" قائمة لتاريخ التدخلات العسكرية الأمريكية تستند الى سجلات الكونغرس ومكتبة الكونغرس - خدمة الابحاث، وتحتوي على ١٣٣ تدخلا عسكريا خلال ١١١ عاما من عام ١٨٩٠ لغاية ٢٠٠١، من اباداة الهنود الحمر السكان الاصليين في داكوتا الى غزو افغانستان. شن الديمقراطيون خمسة من ستة من هذه التدخلات وهي : الحربان العالميتان الاولى والثانية وحرب كوريا وفيتنام والخليج ويوغسلافيا : (بوش الاب والابن هما الاستثناء بين الجمهوريين المنعزلين الذين يركزون عادة على استغلال مواطنيهم فقط). ومعدل التدخلات العسكرية في السنة هو ١٥ قبل الحرب العالمية الثانية و ٢٩ بعدها . مما يعني الزيادة. وبعد الحرب الباردة ومنذ اواخر ١٩٨٩ ازدادت التدخلات الى ٢ في السنة ، وهو يطابق الافتراض، بأن الحروب تزداد كلما توسعت الامبراطوريات لأن لديها الآن منافع اكثر تتطلب حمايتها وقلقل اكثر تتطلب اخمادها وانتفاضات اكثر تستوجب سحقها.

وقد جمع "وليام بلوم" ٣٠٠ صفحة من الوثائق الصحيحة في كتابه (دولة مارقة Rogue State : دليل الى القوة الوحيدة في العالم الذي صدر عام ٢٠٠٠). و يتضح من قراءة الوثائق ان المعاناة كانت هائلة : الضحايا والمحرومين

إن الفرضية لاتقصد إن سقوط وانهييار الامبراطورية الأمريكية هو سقوط وإنهييار الجمهورية الأمريكية. بالعكس ، ان التخلص من عبء اقامة وادامة الامبراطورية عندما يكون اكثر من المكاسب المتحصلة من التبادل غير المتكافيء، وعندما يضاعف التوسع عجز الميزانية ،بدلا من انقاصه، يمكن ان يؤدي الى ازدهار الجمهورية الأمريكية . ويعترف هذا الكاتب بأنه منحاز ضد الامبراطورية بسبب معاناة الاطراف الهائلة خارج وداخل الجمهورية . وهو منحاز الى جانب الجمهورية الأمريكية . ولكن تبني شعار (مناهضة امريكا) لايميز بين جمهورية الولايات المتحدة وامبراطورية الولايات المتحدة .

ومن المتوقع حدوث كارثة اقتصادية للجمهورية الأمريكية في اعقاب انهيار وسقوط النظام الساعي (الى الحفاظ على استقرار العالم من اجل اقتصادنا وانفتاحه لغزونا الثقافي)، ولكن هذا مكون واحد فقط في اعراض امبريالية كاملة لها مكونات تجتذب وتنفر في محيط مختلف من المجتمعات والافراد. والاقتصاديون غير الموضوعيين يبتكرون نظريات تشرع اللامساواة و(الواقعيون) غير الواقعيين يفرضون (النظام) والليبراليون يقودون ويسيطرون على اختيارات الاخرين السياسية والمبشرون بالدين او العلمانية يحاولون تحويل معتقدات الجميع. وكل ذلك تجفيف واسع للموارد.

إن حالة إنجلترا تشير الى أن الامبراطورية يمكن ان تكون عبئا. وقد بدأ انهيار الامبراطورية منذ فترة طويلة ولكن سقوط جوهرة التاج : الهند بسبب خليط من النضال السلمي (غاندي) والنضال

والبيئة المدمرة والبناء (من خلال . .) والثقافة (من خلال الوحشية واساطير الانتقام والشرف). ومعظم ذلك يصب في قالب واحد : بناء امبراطورية امريكية قائمة على الاستغلال الاقتصادى للدول الاخرى والشعوب باستخدام العنف المباشر وغير المباشر ، الصريح (البنتاغون) والمبطن مؤامرات (CIA) ، اضافة الى تعاون صريح وخفي من حلفاء امريكا.

النتيجة بناء طبقي دولي تنتع فيه الفجوة بين الدول الفقيرة والدول الغنية ، بين الفقراء والاعنياء.

ليس هناك من يقول ان التدخلات بسبب تصادم حضارات ، ولا الرغبة في احتلال اراضي الغير، ولكن هناك حماسة تبشيرية هائلة وخطاب ديني اخلاقي. ويتغير الخطاب: احتواء توسع الاتحاد السوفيتي ، الحرب ضد الشيوعية ، ضد المخدرات ، التدخل من اجل الديمقراطية وحقوق الانسان ، ضد الارهاب. وتغطي قائمة بلوم للتدخلات العسكرية حتى عام ٢٠٠٠ (٦٧) حالة منذ ١٩٤٥ (سجل جروسمان ٥٦ حالة ولكن المعيار مختلف هنا لدى الكاتيين).

الصين ٤٥-٥١ / فرنسا ٤٧ / جزر مارشال ٤٦-٥٨ / ايطاليا ٤٧-٧٠ / اليونان ٤٧-٤٩ / الفلبين ٤٥-٥٣ / كوريا ٤٥-٥٣ / البانيا ٤٩-٥٣ / اوربا الشرقية ٤٨-٥٦ / المانيا : الخمسينات / ايران ٥٣ / جواتيمالا ٥٣-٩٠ / كوستاريكا ٥٠ و ٧٠-٧١ / الشرق الاوسط ٥٦-٥٨ / اندونيسيا ٥٧-٥٨ / هايتي ٥٩ / اوربا الغربية : الخمسينات والستينات / غيانا البريطانية ٥٣-٦٤ / العراق ٥٦-٦٣ / الاتحاد السوفيتي :

الاربعينات والستينات / فيتنام ٤٥-٧٣ / كمبوديا ٥٥-٧٣ / لوس ٥٧-٧٣ / تايلاند ٦٥-٧٣ / الاكوادور ٦٠-٦٣ / الكونغو زائير ٧٧-٧٨ / فرنسا- الجزائر : الستينات / البرازيل ٦١-٦٣ / بيرو ٦٥ / جمهورية الدومنيكان ٦٣-٦٥ / كوبا ٥٩- / اندونيسيا ٦٥ / غانا ٦٦ / اورجواي ٦٩-٧٢ / شيلي ٦٤-٧٣ / اليونان ٦٧-٧٤ / جنوب افريقيا : الستينات والثمانينات / بوليفيا ٦٤-٧٥ / استراليا ٧٢-٧٥ / العراق ٧٢-٧٥ / البرتغال ٧٤-٧٦ / تيمور الشرقية ٧٥-٩٩ / انجولا ٧٥- الثمانينات / جامايكا ٧٦ / هندوراس : الثمانينات / نيكاراغوا ٧٨ : التسعينات / الفلبين : السبعينات / سيشيل ٧٩-٨١ / اليمن الجنوبية ٧٩-٨٤ / كوريا الجنوبية ٨٠ / تشاد ٨١-٨٢ / جرينادا ٧٩-٨٣ / سورينام ٨٢-٨٤ / ليبيا ٨١-٨٩ / فيجي ٨٧ / بناما ٨٩ / افغانستان ٧٩-٩٢ / السلفادور ٨٠-٩٢ / هايتي ٨٧-٩٤ / بلغاريا ٩٠-٩١ / البانيا ٩١-٩٢ / الصومال ٩٣ / العراق : التسعينات / بيرو : التسعينات / المكسيك : التسعينات / كولومبيا : التسعينات / يوغسلافيا ٩٥-٩٩ . (الكتاب الذي نشر في ٢٠٠٠ لم يذكر بطبيعة الحال : افغانستان ٢٠٠١ (ومازال) ، والعراق ٢٠٠٣ (ومازال) - دورية العراق) ، كان هناك قصف في ٢٥ حالة. كانت هناك محاولات لاغتيال قادة الدول في ٣٥ دولة ومساعدة في التعذيب في ١١ دولة هي : اليونان وايران والمانيا وفيتنام وبوليفيا واورجواي والبرازيل وجواتيمالا والسلفادور وهندوراس وبناما.

امتهم. وعلى الفلاحين الفقراء في فيتنام الراغبين في الاستقلال . في المرحلة الثانية كانت الحرب الباردة ، وليست الساخنة، لاحتواء الشيوعية. في المرحلة الثالثة كان الهدف جماعات سكان اصليون فقراء يساندهم طلاب (ماويون) . في المرحلة الرابعة والتي تسيطر على الصورة الآن اصبح التركيز على الدول والحركات الاسلامية ، والفلسطينيون مثال مهم على ذلك.

وطوال الوقت نرى الولايات المتحدة تدعم اولئك الذين يفضلون عالم الاعمال والتنمية في امريكا، وتعمل ضد اولئك الذين تكون اولوياتهم لاحتياجات الفقراء الذين يموت منهم ١٠٠ ألف كل يوم ، الذين لا يجدون طعاما كافيا ولا ملابس ولا ملاجئ ولا عناية ولا مدارس ولا وظائف . اولئك الذين فقدوا الامل والمستقبل.

عالم قاس مبني على تجارة عالمية تفوقها الولايات المتحدة ، تساندها العسكرية الامريكية والحكومات المتحالفة واحيانا الشعوب التي تنتفع من الموارد الرخيصة ومنتجات الغذاء ، في الدول المقهورة.

الجديد في المرحلة الرابعة هو شيء له علاقة بالدين. فإن الاسلام - مثل المسيحية - معني بالخطيئة والذنوب والجزاء والقصاص. ولكن الاسلام لا يضع (بلاد الرب) امريكا فوق الله وبيته الحرام في السعودية.

ان مجلس الامن بدوله المسيحية الاربعة ودولة كونفوشية واحدة لا يتمتع بسلطة في الدول الاسلامية كما يتمتع بها في الدول المسيحية في اوربا الشرقية وامريكا اللاتينية او الدول البوذية

في ٢٣ دولة تدخلت الولايات المتحدة لتغيير الانتخابات او منعها (حسب مصلحة امريكا). وهذه الدول هي: ايطاليا ٤٨-السبعينات/ لبنان : الخمسينات/ اندونيسيا ٥٥ /جواتيمالا ٥٣-٦٤/ اليابان ٥٨-السبعينات/ النيبال ٥٩/ لاوس ٦٠/ البرازيل ٦٢/ جمهورية الدومنيكان ٦٢/ جواتيمالا ٦٣/ بوليفيا ٦٦/ شيلي ٦٤-٧٠/ البرتغال ٧٤-٧٥/ استراليا ٧٤-٧٥/ جامايكا ٧٦/ بناما ٨٤ و ٨٩/ نيكاراغوا ٨٤ و ٩٠/ هايتي ٨٧-٨٨/ بلغاريا ٩١-٩٢/ روسيا ٩٦/ مونغوليا ٩٦/ البوسنة ٩٨.

٣٥ محاولة اغتيال + تدريب ١١ دولة على التعذيب + ٢٥ قصف + ٦٧ تدخل + ٢٣ تلاعب في انتخابات دول اخرى ، المجموع: ١٦١ شكل من اشكال العنف السياسي منذ الحرب العالمية الثانية . وهذا رقم قياسي عالمي!!

وإذا حللنا هذه التدخلات ، نجد انها تزداد بمرور الوقت ومعها تتغير الحضارة المستهدفة:

المرحلة الاولى : شرق آسيا : الحضارة الكونفوشية - البوذية
المرحلة الثانية : اوربا الشرقية : المسيحية الاورثوذكسية

المرحلة الثالثة : أمريكا اللاتينية : المسيحية الكاثوليكية

المرحلة الرابعة : غرب آسيا : الاسلام وأحياناً تتداخل المراحل ولكن هذه هي الصورة العامة.

في المرحلة الاولى : كان التركيز على الشعب في كوريا الشمالية والجنوبية الراغبين في توحيد

- تقسيم العمل حيث تستولي دول اجنبية و/ او اجانب داخل احدى الدول على الوظائف المهمة حسب المرحلة التاريخية.
- عجز في الابداع ، بسبب عجز التكنولوجيا والادارة الجيدة بضمن ذلك الرؤية المستقبلية والتطوير.

- تأخر او اهمال قطاع او اكثر من قطاعات الاقتصاد.

- وفي نفس الوقت ، التوسع كايديولوجية ، واستغلال دول اجنبية و/او شعب الدولة نفسه مما يولد ردود افعال سلبية ومدمرة.

وقد انبثقت فكرة العارض syndrome من دراسة سابقة لانهييار وسقوط الامبراطورية الرومانية، حيث توصل عدة مؤلفين الى نظريات العامل الواحد. وقد طبقت الفكرة على الامبراطورية السوفيتية في ١٩٨٠ ، بالتركيز على خمسة عوامل اطلق عليها اسم (تناقضات او توترات) مثل النقاط الاربعة: في المجتمع:

- مجتمع صفوة فوقية مركزية لا يؤمن بالمشاركة يقوده الشعب الروسى الذي يتحكم في الشعوب السوفيتية الاخرى.
- المدينة تسيطر على الريف
- البرجوازية الاشتراكية تتحكم في البروليتارية الاشتراكية

- البرجوازيون الاشتراكيون لا يشتركون شيئاً لأن مستوى الصناعة كان رديئاً.

، فالبوذيون قد لا يكونون مهتمين باصدار فتاوى تدين امريكا. بتعبير آخر: ان المقاومة الحقيقية لابد ان تأتي مع المرحلة الرابعة بحدوث بيرل هاربور جديدة والتي يراها الكثيرون كمقدمة لحرب عالمية ثالثة طويلة المدى. وهذا مما لا يمكن التأكد منه تماما ، ولكن هنا شيء واحد واضح: ان كل من يتعجب من احداث ١١ ايلول/ سبتمبر هو جاهل و غر او كلاهما. هنا ارهاب الولايات المتحدة اللامحدود واللامتناهي اصطدم برد فعل متوقع: ارهاب ضد الولايات المتحدة. فمع ١٢-١٦ مليون من البشر الذين قتلتهم الولايات المتحدة ، اضعف اليهم معدل ١٠ أشخاص حزين لفقد كل واحد منهم ، والمعاناة والالم والرغبة في الانتقام ، فلا بد من توقع ماحدث. ولكن الجذور الاعمق لامتد الى الحلقة المفرغة من العنف والعنف المضاد، وانما تمتد الى الصراعات العديدة التي تتشكل داخل بنية الامبراطورية الامريكية ولاتجد لها حلولا .

ان قول مخطط البنتاغون (للوصول الى هذين الهدفين سنقوم بمقدار لابس من القتل) يعكس حقيقة امبرالية. لقد اوضحنا متى واين وضد من ، ولكن ماذا بعد؟

٢. حول انهييار وسقوط الامبراطوريات :

الامبراطورية السوفيتية مثالاً
في دراسة مقارنة لانهييار (عشر) امبراطوريات وسقوط (تسع ، رقم ١٠ هو الامبراطورية الامريكية) في ١٩٩٥ ، مع التركيز على الجانب الاقتصادى ، كان الاستنتاج ان السبب بشكل عام لا يعود الى عامل منفرد وانما مجموعة عوامل في العارض :

وفي العالم:

كانت سياسة الاتحاد السوفيتى الخارجية صادمة وتتحكم وتتدخل في الدول التي تدور في فلكها.

وقد كانت نبوءة هذا الكاتب فى ١٩٨٠ ان الامبراطورية السوفيتية لن تنهار بسبب عامل منفرد وانما بسبب (تزامن نضوج التناقضات ويتبعها فساد وانحلال الصفوة فى المركز والاطراف) مع انهيار جدار برلين في مرحلة مبكرة خلال ١٠ سنوات.

آلية الانهيار والسقوط لم تكن بسبب دوى حرب وانما بسبب فساد الصفوة الذين بعد ان حكموا بالحديد والنار ، انغمسوا بالرشاوى والكحول والتخمة وعبادة الذات.

٣. حول تناقضات الامبراطورية الامريكية

إن توقع انهيار وسقوط الامبراطورية السوفيتية بنى على تكاتف خمسة تناقضات وكان الوقت المتوقع لنضوج هذه التناقضات هو ١٠ سنوات في ١٩٨٠.

أما توقع انهيار وسقوط الامبراطورية الامريكية فهو مبنى على تكاتف ١٤ تناقضا ، والوقت المتوقع لنضوج هذه التناقضات هو ٢٥ سنة اعتبارا من عام ٢٠٠٠. وهنا التناقضات أكثر لأن الامبراطورية الامريكية أكثر تعقيدا. والفترة اطول ايضا بسبب هذا التعقيد. بعد الاشهر الاولى لتولى الرئيس جورج بوش ، نقص الوقت الى ٢٠ سنة بسبب أسلوبه الذي كثف كثيرا من هذه التناقضات وبسبب تطرفه الذاتى الذي أعماه عن رؤية التناقضات السلبية والمعقدة . وهو يستمر في هذا الاسلوب.

فيما يلي التناقضات الأربعة عشر التي**شخصناها في عام ٢٠٠٠**

أولاً: التناقضات الاقتصادية (نظام تقوده الولايات المتحدة البنك الدولي/ صندوق النقد الدولي/ منظمة التجارة العالمية- بورصة نيويورك - البنتاغون)

١. **بين النمو والتوزيع** : زيادة في الانتاج نسبة الى الطلب: ١٤ بليون شخص: اقل من دولار واحد في اليوم ، و ١٠٠ ألف شخص يموت في اليوم ربعهم من الجوع.
٢. **بين الاقتصاد الانتاجى والاقتصاد المالى** (العملة ، الاسهم، الاوراق المالية) تضخم القيمة ، ومن هنا انهيارها ، البطالة والعمل بالعقود.
٣. **بين الانتاج/التوزيع/ الاستهلاك/ والطبيعة** : كوارث البيئة ، التلوث ، زيادة حرارة الكون.

ثانيا : التناقضات العسكرية (نظام تقوده

- الولايات المتحدة : الناتو / مشروع تطوير البنى التحتية اللاسلكية/ الولايات المتحدة - اليابان)
٤. **بين ارهاب الدولة** الذي تمارسه الولايات المتحدة والارهاب : رد فعل مضاد
٥. **بين الولايات المتحدة وحلفائها** (ماعداء بريطانيا والدنمارك واليابان) **الذين يقولون** : كفى !

٦. **بين هيمنة الولايات المتحدة** في اوراسيا وروسيا - الهند - الصين (مثلث فيه ٤٠% من سكان الارض)

٧. **بين الناتو** الذي تقوده الولايات المتحدة وجيش الاتحاد الاوربي

ثالثا : التناقضات السياسية (عقيدة الولايات المتحدة بلاد الرب المختارة)

إن هذه القائمة هي نقاط رئيسية لحالة الامبراطورية الامريكية . ويمكن إجراء مناقشات أعمق ولكن مع الاحتفاظ بالافكار الرئيسية وهي : الاعراض و التناقضات والفساد والانحلال.

٤. نضج التناقضات : تحديث بعد ٣ سنوات

من الواضح ان الامبراطورية الامريكية حقيقة حيوية فاعلة وليست بناءً جامداً ميتاً ، وهي نظام معقد جداً بهذه التناقضات الاربعة عشر الكامنة فيها . في مثل هذا النظام لاتجد خطوطاً مستقيمة، والسلاسل السببية تنقطع وتتحد، اما المنحنيات فموجودة طوال الوقت. وستكرر القفزات الكمية عندما يجتمع عنصران، احدها يتغير والآخر يبقى ثابتاً. ولكن يظل الانهيار متوقفاً خلال عشرين عاماً للاثنا عشر الاربعة من التبادل غير المتكافىء.

أولاً- التناقضات الاقتصادية

١. بين النمو والتوزيع- النمو عادة متباطيء ماعداً في الصين والتوزيع اسوأ بين الاقطار وفي داخل كل منها. وعلى اية حال فإن مايشغل البال هو الازدحام المعيشية لطبقات قاع المجتمع، والوفيات من الجوع والامراض القابلة للشفاء. وتحليل هذه الاعراض يعود الى زيادة الانتاج التي تؤدي الى البطالة، التي تؤدي الى قلة الطلب التي تؤدي الى زيادة العرض التي تؤدي الى بطالة اكثر والخ. وفي نفس الوقت فإن تحويل الارض والبذور والماء والسماذ الى قيمة نقدية، يعوق تحويل العمل الى انتاج الغذاء بأن يزرع المرء ارضه. ان الامبراطورية الامريكية

٨. بين الولايات المتحدة والامم المتحدة : الامم المتحدة تتردد الضريبة.
٩. بين الولايات المتحدة والاتحاد الاوربي : يتنافسان للحصول على دعم الاورثوذكس/المسلمين

رابعاً : التناقضات الحضارية (الحضارة الامريكية المبتدلة والمنتصرة)
١٠. بين اليهودية- المسيحية الامريكية والاسلام (٢٥% من البشرية يدينون بالاسلام، مجلس الامن فيه اربع دول مسيحية وليس هناك دولة من ٥٦ دولة مسلمة)
١١. بين الولايات المتحدة والحضارات الاقدم . الصينية والهندية وما بين النهرين والازتك والانكا والمايا)

١٢. بين الثقافة الامريكية والاوربية الراقية : فرنسا ، المانيا الخ

خامساً: التناقضات الاجتماعية (صفوة العالم التي تقودها امريكا في مواجهة البقية : منتدى الاقتصاد العالمي ، دافوس ضد المنتدى الاجتماعى العالمي ، بورتو الجير)
١٤. بين صفوة شركات الحكومة والطبقات العاملة المكونة من العاطلين وعمال العقود. (وماذا عن) الطبقات المتوسطة؟
١٥. بين الاجيال القديمة واجيال الشباب : سيائل ، واشنطن ، براغ ، جنيف ، والاجيال الاصغر : (وماذا عن) والجيل الوسط ؟
١٦. الى هذه القائمة يمكن اضافة : بين الخرافة والحقيقة.

يكره امريكا. وكان التوضيح الذي اعلن هو ان المعاهدة تعوق النمو الاقتصادى الامريكى (بمعنى آخر لايناسب الشركات العملاقة). وهذه الحركة تعرض كوكب الارض للخطر وهي تعبير عن احتقار النظام الكونى الذي يعتمد على معاهدات قابلة للتفاوض والتصديق. وكان يمكن للولايات المتحدة ان تطالب باعادة التفاوض. ولكن الامبراطورية الامريكى لديها اولويات اخرى وقد دفعت بذلك ملايين البشر في حركة مناهضة للولايات المتحدة.

٤. بين ارهاب الدولة الاميركية والارهاب: لقد حدثت قفزة كمية في ١١ ايلول/ سبتمبر ٢٠٠١، رغم ان عدد الذين قتلوا كان اقل من عدد الذين قتلوا في ١١ ايلول/ سبتمبر آخر في ١٩٧٣ وهو تاريخ مؤامرة الانقلاب التي دعمتها الولايات المتحدة ضد حكومة سلفادور اليندى الاشتراكية (احد ٦٨ تدخل في الشؤون الداخلية للدول بعد الحرب العالمية الثانية بضمنها العراق). وكان هذا شيئا متوقعا، كما اننا نتوقع تكراره مالم تسارع الامبراطورية الامريكى الآن في الخروج من حلقة العنف مدركة ان العدو قد يكون (نحن الولايات المتحدة). ولكن الامبراطورية الآن تتحدث عن تدخلات اخرى في اكثر من ٦٠ دولة. وهذا يستغرق العمر كله. وهو ثمن باهض للفشل في محاولة حل الصراعات / التناقضات.

وهنا لابد من هذه الملاحظة: ان محاولة تفسير ١١ ايلول/ سبتمبر باعتباره مثلا (رد فعل على الامبراطورية الامريكى بضرب رمزين مهمين للعمليات الاقتصادية والعسكرية) او باختصار انه (انتقام) أو (صراع لم يحل) لا تبرر هذه الجريمة

تسعى الى النمو ولكنها تهمل وتمنع التوزيع، ومن هنا هي تقاطع نفسها طالما ان الجانب المهم من النمو هو زيادة الطلب مما يؤدي الى زيادة الاستهلاك.

٢. بين الاقتصاد الانتاجى والمالى. ان ارتفاع رقم مبيعات السوق المحلى والدولى حتى في حالة تباطؤ النمو في الاقتصاد الانتاجى في كثير من الدول، و انخفاض التوزيع سيؤدى الى تراكم كبير لسيولة تبحث عن منفذ. وبما ان الاستهلاك الرفاهى والاستثمار الانتاجى محدودان فإن المنفذ الواضح هو عمليات شراء وبيع في الاقتصاد المالى، وهو ما يعرف باسم المضاربات المالية. ويأتي رد فعل الاقتصاد الانتاجى، باقامة مشاريع مزيفة مثل إينرون وورلدكوم، بحيث يزداد النمو في الاقتصاد المالى مع زيادة الاقتصاد الانتاجى. وهكذا فإن زيادة حدة هذا التناقض في عام ٢٠٠١ تتمثل في انهيار بعض الاسهم وانخفاض قيمة الدولار، مما يشير الى مرض مزمن. واحد الادوية الشافية لهذا المرض هو التوزيع الذي يعيقه في الامبراطورية الامريكى استخدام نظام البنك لدولى/صندوق النقدالدولى/ منظمة التجارة العالمية/ البورصة - البنناغون، ولعدم وجود هذا العلاج حاليا سوف يتفاقم المرض مع حدوث انهيارات جديدة.

٣. بين الانتاج/التوزيع/الاستهلاك والطبيعية. كان انسحاب ادارة بوش معاهدة كيوتو عاملا مهما في زيادة حدة هذا التناقض الى حد كبير وكان احد الشعارات المهمة في قمة ٢٠٠٢ في جنوب افريقيا. وبفضل السيد بوش اصبح العالم

الدفاع الامريكى فى شباط/فبراير ٢٠٠٣ (فى الدولة الديمقراطية يجب ان تعرض حجبا لمواقفك وحججك غير مقتعة) اذا كان الجمهور يعرف مايجري خلف الابواب المغلقة، مثل دعم حرب العراق مقابل ادراج منظمة على قائمة الارهاب لزدادت مناهضة الحرب.

فى عام ٢٠٠٠ كان ينظر الى بريطانيا ومانيا واليابان كحلفاء موثوق بهم . ولكنهم فشلوا فى توقع موقف المانيا ، والمرتبب بالحزب الديمقراطى الاشتراكى الذى كان يعانى من ضغوطات بسبب قناعاته الداخلية فيما يخص يوغسلافيا وافغانستان. اما استراليا فقد كان موقفها متوقعا كبلاد انجلو سكسونية ، واليابان تصرفت كما كان متوقعا منها. وتختلف مصالح الدول ولكن الموقف المألوف هو ضد الدعم غير المشروط للامبراطورية الامريكية. وهو تناقض حساس جدا يمكن ان يزداد حدة اذا مارست الشعوب ضغطا اكبر على الحكومات.

٦. بين هيمنة الولايات المتحدة فى آسيا الاوربية وروسيا - الهند - الصين: وهذه دول كبيرة لايمكن للولايات المتحدة غزوها ، ولهذا فقد اقتربت منها من خلال مخاوفهم من السكان المسلمين، فى الشيشان وكشمير وزيانج على التوالي. بعد توسع الناتو نحو الشرق وتحالف الولايات المتحدة واليابان (وتايوان وكوريا الجنوبية كعضوين قائمين) والتوسع نحو الغرب ابتداءً من ١٩٩٥ ، حلت الدول الثلاث معظم مشاكلها وتقاربت (ولكن ليس فى حلف رسمى) . ولكن هذه الخطوات اوقفتها امريكا بشكل مؤقت ، موحدة اياها ضد (الارهاب الاسلامي)

الشنيعة، كما ان تدخل امريكا فى افغانستان والعراق غير مبررين . ولكن يمكن تفسيرهما جزئيا مثل كوسوفو بجهود تبذلها الامبراطورية الامريكية من اجل الهيمنة والتوسع ، لاحكام المزيد من السيطرة على سوق النفط العالمى و(للحفاظ على استقرار العالم من اجل اقتصادنا) باقامة قواعد عسكرية.

ان ضرب الامبراطورية فى اقوى جوانبها فعل خاطيء وغير فعال ويعود بالضرر مثله مثل العنف الامريكى. و حل المشاكل يكمن بالتعرف على سلسلة الاسباب ثم محو الاسباب، مثل حلقات العنف والصراعات القائمة. ولكن الامبراطورية الامريكية تسد الطريق. ٥. بين الولايات المتحدة والحلفاء : لاتريد الامبراطورية الامريكية ان تبدو كامبراطورية وانما تريد ان ينظر اليها بأنها شيء مدعوم من قبل (المجتمعات المتقدمة والتمتدنة) ضد المجتمعات (الشريرة والفوضوية والارهابية). ان واشنطن تبني تحالفاتها مع انظمة الناتو واليابان وآخرين.

ان هذا التناقض (وآخرين غيره) لم يطفو على السطح بأوضح صورة كما حدث مع الحرب على العراق. ولكن كان هناك توتر ايضا فيما يتعلق بعمليات يوغسلافيا وافغانستان. ان الرأي العام ليس متغيرا مهما هنا. فواشنطن تتعامل مع حكومات ولهذا السبب كانت مهتمة بنوعية الاعضاء. وافضل طريقة لممارسة السلطة والاقناع والصفقات والتهديد هو ان يكون خلف ابواب مغلقة، لئلا يسمع الجمهور شيئا ، مثل ملاحظة وزير الخارجية الالماني الذى قال لوزير

تتعارض مع مصالحها .اضافة ان لها سلطة على كثير من الدول الاعضاء في الامم المتحدة مثلا تغيير شروط قروضها للتأثير على التصويت الى جانبها. وهناك رفض لهذا التصرف وقد ظهر علنيا عندما فشل التحالف الامريكي البريطاني في استصدار قرار ثان من مجلس الامن فيما يخص العراق .

٩ . بين الولايات المتحدة والاتحاد الاوربي : وهذا يتجاوز الجيش الاوربي مقابل الناتو . للاتحاد الاوربي اليوم ١٥ عضوا وبحلول ايار / مايو ٢٠٠٤ سيكون هناك ٢٥ عضوا واكثر من ذلك فيما بعد. اذا قرر الاتحاد الاوربي ، وهو في صالحه ، ان يسد الخطوط الفاصلة في البناء الاوربي بين الارثوذكسية والكاثوليكية / والمسيحية البروتستانتية وبين الاسلام والمسيحية وذلك بفتح ابواب الاتحاد الاوربي لعضوية روسيا وتركيا ، ستخلف الولايات المتحدة كثيرا ، لأن سكان الاتحاد الاوربي عندئذ سيتجاوزن ٧٥٠ مليون نسمة . وقد تكون هناك مشاكل في العلاقة مع شرق آسيا ولكن الاتحاد الاوربي يعمل على سد هذه الفجوة ايضا ويمكن لاتحاد اوربي عملاق ان يجني ثمار تجنب محاكاة الامبراطورية الامريكية ويدعم منظمة الامم المتحدة.

ثالثاً : التناقضات الحضارية (الثقافية)

١٠ . بين اليهودية المسيحية الامريكية من جهة والاسلام من جهة اخرى: هذه هي ديانات ابراهيمية، وتعبير اليهودية المسيحية الذي شاع استخدامه في الولايات المتحدة يرسم خطأ بينها. ومع ظهور التحالف الاصولي المعتمد على فكرة

بمعنى المسلمين الذين يناضلون في سبيل تقرير المصير او الحكم الذاتي في المناطق الثلاثة التي ذكرناها. ولكن الحرب على العراق زادت من حدة التناقض مرة اخرى لرفض هذه الدول المشاركة في الاحتلال (معرفة منهم بالمقاومة الاسلامية) . ولكن امريكا مازال لديها اسواق مفتوحة واستثمارات اقتصادية مع الحكومات الثلاثة .

٧ . بين الناتو الذي تقوده الولايات المتحدة وجيش الاتحاد الاوربي: وهذا لايشبه النقطتين السابقتين وللتين تتعلقان بالاحجام عن التعاون وتحالف دول تشعر بالكماشة العسكرية الامريكية ، هنا لدينا جيش جديد متعدد الجنسيات تكمن فيه قوة كونية جديدة . السؤال (لماذا يحتاجون الى جيش طالما لديهم الناتو؟) والجواب الذي يخطر على الامبراطورية الامريكية : (هذا يبين انهم ليسوا كلياً معنا ، ولهذا فهم ضدنا). وسيكون هناك الكثير من المناورات خلف الابواب المغلقة ، فيما يتعلق بهذا التناقض. ولكن الحركة العامة ستكون باتجاه جيش اوربي لبعض الدول، مبنيا على القوات الاوربية الحالية وسلسلة قيادات لانتتهي في واشنطن ولاتمر خلال واشنطن عدا في حالات تبادل المعلومات. هذا الجيش : لاغراض الدفاع ام لامبراطورية اوربية قادمة ؟ للاستيلاء على المغام؟

ثانياً : التناقضات السياسية

٨ . بين الولايات المتحدة والامم المتحدة : تستخدم اكبر قوة في العالم الفيتو في مجلس الامن اكثر من غيرها ولديها ما يشبه فيتو اقتصادي بحجب او سحب دعم البرامج التي

فرنسا والمانيا المعركة للهيمنة الثقافية مقابل الولايات المتحدة في حين ان بريطانيا في مرحلة وسطية.

رابعاً : التناقضات الاجتماعية

١٣ . بين صفوة الشركات الحكومية وطبقة العمال العاطلين وعمال العقود : صوت اتحاد التجارة الامريكى لأول مرة ضد الحرب على العراق . ولكن تتم السيطرة على الطبقة العاملة اليوم بالتهديد بالبطالة او التعاقد بشروط جائرة لاتتضمن الضمان والاستقرار. اما صفوة الشركات الحكومية فهم اكثر تنظيماً وقد جعلوا من وجودهم ضرورة . ففي يدهم قرارات الفصل والتعيين مع التهديد بخطر التحول الى الميكنة الكلية.

ان اقتصاد ما بعد الحداثة يمكن ان يستمر بدون عمال ، ولكن ليس بدون مستهلكين . ولكن طرد العمال يعنى طرد المستهلكين بتقليل قدرتهم الشرائية. ان عمال العالم يستطيعون الاتحاد بمقاطعة المنتجات الامريكية مثل النفط من العراق او طائرات بوينج (وهو احد مصانع الموت الرئيسية في العالم) . عموماً مقاطعة البضائع الاستهلاكية والرأسمالية والمالية مثل الدولار والاسهم والسندات الامريكية.

١٤ . بين الجيل القديم والشباب: ولا يقصد بالشباب طلبة الجامعات الذين وقف نظراًؤهم ضد حرب فيتنام فقط ، وانما طلاب الثانوية الذين يمكن تحريكهم بالانترنت. ربما يكون احد عناصر تحريكهم هو الحقيقة مقابل الكذب. لأنهم شعبوا دعايات كاذبة بعيدة كل البعد عن الحقيقة.

اقترب الهرماجدون (المعركة الكبرى الفاصلة بين قوى الخير والشر (وان المخلص المنتظر والمسيح قد يكون شخصاً واحداً ، اصبح هذا التناقض حاداً جداً ، ولكن الاسلام ينتشر بسرعة كبيرة ، بعكس المسيحية امااليهود فهم اقلية صغيرة. ومن شأن هذا الصدع ان يرسم حدوداً واضحة ضد تغلغل الامبراطورية الامريكية . ومنفذو ١١ ايلول / سبتمبر من الشباب الوهابيين قد انجزوا شيئاً لم يحلموا به بالنيابة عن ١٣ مليار مسلم وليس ٣٠٠ مليون عربي فقط. وهذه العلاقة التصارعية سوف تحد كثيراً من توسع الامبراطورية الامريكية.

١١ . بين الولايات المتحدة والحضارات الاقدم : عندما يتحدث الناس عن الاصولية فهم يقصدون غالباً الارتباط الدينى بالحضارات القديمة. ولكن الحضارات لها ابعاد عديدة بضمنها اللغة واشكال التعبير الاخرى والتواريخ والاماكن المقدسة والاثرية واشياء اخرى. هناك وعي يتنامى في كل انحاء العالم ينظر الى الحضارات القديمة غير الغربية بنظرة تختلف عن النظرة الى مواضع اثرية جميلة موجودة للفرجة وليس للمعايشة. ان تدمير آثار سومر وبابل في العراق كان محاولة للسيطرة على العراقيين بتدمير هويتهم الاصلية . وهو مثال نمطي للتناقض في مرحلته الاولى (الطفولة) ولكنه حافل بامكانية النضوج السريع.

١٢ . بين الولايات المتحدة و ثقافة الصفوة الاوربية : يعتقد الغرب ان العالم يتكون من اربعة مراكز جيو ثقافية : الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والمانيا. وليس امام الاخرين سوى ان يقلدوا او ينتجوا ثقافات دخيلة. وتستثمر

والامبراطورية البريطانية في العراق. واكثر الامثلة الحديثة دراماتيكية هو انحلال الامبراطورية الفرنسية: كان ديغول من العظمة بحيث ينهي هو بنفسه الامبراطورية (ماعدا وجودها في الباسيفيكي واماكن اخرى) ومثلما حدث مع الامبراطوريتين الروسية والبريطانية ، ولد عدد من الدول المستقلة. ومن رحم الامبراطوريات الغربية ولد عالم جديد في الستينات و من الامبراطورية الروسية في التسعينات.

ليس سوى الاغرار هم الذين يعتقدون ان العالم الجديد سيكون الجنة على الارض. ان أنظمة جديدة تظهر ولكنها تحمل تناقضاتها. وقد استنتج حكام الامبراطوريات البريطانية والفرنسية والسوفيتية ان التكاليف اكثر من الغنائم . والبعض قد يستنتج ان تكاليف السقوط بضمنها الاطراف تتجاوز المكاسب. وهذا طبعا يعتمد على النظام الذي يعقبها ، البديل. ان الكاتب يفضل القيادة العالمية للامم المتحدة وليس امبراطورية الاتحاد الاوربي، ولكن هذه قصة اخرى.

اعتمدت الامبراطوريتين البريطانية والفرنسية على مستعمرات (ماوراء البحار) أما الامبراطورية السوفيتية فقد اعتمدت على اتحاد قيصري/ بلشفي متجاوز والامبراطورية الامريكية تعتمد على مقاله مخطط البنتاغون، واطراف الامبراطورية غير الامريكين هم الدول (المستقلة). وهذا يربك الذين يرتبط مفهوم الامبراطورية لديهم بـ (المستعمرات) وليس الدول المستقلة. وآخرين ممن يرتبط المفهوم

والشيء نفسه ينطبق على النساء. ولكن هنا لعبت واشنطن ورقة رابحة (الدفاع عن امن الوطن والعائلة) ولكن الشعوب الاخرى في الولايات المتحدة مثل الهنود الحمر واللاتين والصينيين والافارقة والهاوايين يمكن توجيههم ضد الادارة الانجلو سكسونية التي تدين بالمعمدانية الجنوبية والعسكريتاريا القادمة من اعماق الجنوب. ونأمل فقط الا يخلقوا حالة طوارئء يلغون معها الانتخابات التي لن يفوزوا بها.

٥. والانهيار والسقوط؟

أنظر الى التناقضات الاربعة عشر ثم أنظر الى تعريف الامبراطورية . ان طريقة حل هذه التناقضات التي تقضم قلب النظام بسيطة جدا: للتناقضات الاقتصادية الثلاثة : قتل او حتى اوقف الاستغلال!

للتناقضات العسكرية الاربعة : قتل او حتى اوقف القتل!

لتناقضين السياسيين : قتل او حتى اوقف الهيمنة! للتناقضات الثقافية الثلاثة : قتل او حتى اوقف الطرد!

للتناقضين الاجتماعيين : قتل او حتى اوقف المذكور اعلاه!

مع كل تقليل ، وحسب التعريف ، تنهار الامبراطورية الامريكية. وعند كل توقف تتساقط الامبراطورية الامريكية. اوقف كل الاربعة ، وتختفي الامبراطورية الامريكية، ورغم ان بعضها يظل يعيش ولكن كفضالة مثل الامبراطورية الروسية في الشيشان

التناقضات الاربعة العميقة تؤدي الى التناقضات الاربعة عشر السطحية والانحلال وهذا يؤدي الى التخلي عن الامبراطورية وتفكك التناقضات الاربعة عشر. على اية حال : التناقضات الاربعة قد تكون لها جذور اعماق. اذن من اين يأتي الظلم؟ من رأسمالية محررة، بلغت من الظلم انها تحتاج الى بعض الحماية العسكرية. ولكن من اين تأتي الرأسمالية؟ وكل ذلك العنف؟ من عقدة التفوق الثقافي وحق وواجب التبشير، وبدون الاحساس بواجب تفهم الثقافات الاخرى، وقد يتعلق هذا باحساس (شعب الله المختار) و(بلاد الله المختارة). ولكن من اين اتت هذه الفكرة؟ وهكذا الى مالا نهاية. ان التناقضات الاربعة التي تعرف الامبراطورية الامريكية لم تأت من فراغ. يمكن ان يحدث هذا من خلال تلاشي الايمان بصلاحيات الامبراطورية كنظام او بتعبير آخر، انحلال. ويمكن ان يكون للتناقضات الاربعة عشر جذور اخرى. ان التناقضات الاقتصادية تأتي من الرأسمالية، كانت الولايات المتحدة عنيفة قبل الامبراطورية، قد يكره بعض اعضاء الاتحاد الاوربي الولايات المتحدة لأنها تقف عشرة في طريق طموحاتهم، ونفس الشيء ينطبق على الثقافات المتنافسة مثل الاسلام الذي يريد توسيع (دار الاسلام)، بعد الانتصار في المعركة (دار الحرب). ولكن البعض يقول ان العالم تحت الولايات المتحدة افضل من ان يكون تحت الاتحاد الاوربي او الاسلام.

وربما يكون في هذا شيء من الحقيقة ولكن المشكلة ليس في حصة الولايات المتحدة من كعكة العالم الرأسمالية ولكن ماتخلفه من قتل وهيمنة

لديهم بمناطق (ماوراء البحار) وليس المجاورة. وآخرون قد يصابون بالحيرة لأن ثلاثة من هذه المراكز هي دول ديمقراطية غربية فوق شبهة ارتكاب اخطاء كبيرة. ان التعريف الذي افترضنا به هذه المقالة يعتمد على علاقة تبادل غير متكافئة بين المركز والاطراف، وليس على جغرافية او قطبية المركز. إن التبادل غير المتكافئ المقسم الى اربعة مكونات، هو التناقض الجذري للامبراطورية كنظام. ومن التناقضات العميقة الاربعة تنبثق التناقضات السطحية الاربعة عشر، وهي الواضحة للجميع وعادة ماتكون موضوعا للصحافة. بعكس التناقضات العميقة. اذن النموذج الاساسي الذي ناقشناه حتى الآن هو: اربعة تناقضات عميقة توحى بـ ١٤ تناقض سطحي.

واثناء نضوج هذه التناقضات الاربعة عشر وتزامنهما وتكاتفهما، قد يرخي المركز قبضته على الاطراف في حركة واعية متتورة كما فعل ديغول، او نشاهد انحلال الامبراطورية ببطء كما حدث مع بريطانيا او بسرعة كما في الاتحاد الاسوفيتي. اذن ايتها الولايات المتحدة الاميركية: اختر مايناسبك! ولكن الولايات المتحدة الاميركية تتصرف الآن مثل فيل مجروح، تضرب في كل الاتجاهات. هذه هي مرحلة غليان التحلل حيث العواطف تعيق التفكير العقلاني حول الواقع ومايجب فعله، وسوف يعقب هذه المرحلة، مرحلة التجمد و (التخلي) كما فعل الاتحاد السوفيتي او كليتون. ومن خصائص التحلل انه يتأرجح قبل ان يتوقف. يمكن الآن ان نتوسع في النموذج أعلاه: (٤) تعني (١٤) تعني انحلال تعني (٤) تعني (١٤).

التناقضات. وربما تجد تناقضا يخفي آخر. وقد يزدهر الاخير حين يزوي السابق. ولكن هذه المعرفة لن تمنع التناقضات من النضوج. اما فيما يتعلق الامر بالامبراطورية فهناك ضوء في نهاية نفق طويل وملتوي. ولكن بعد ذلك النفق هناك انفاق جديدة.

٦. عن التناقضات عموماً

المفهوم بحد ذاته يحوي تناقضات بمعنى الاجهاد بين المعاني. والعنصر المشترك هو نظام بعنصرين فاعلين والاجهاد يكون بين القوى. ولافتراض قوتين فقط وليس بالضرورة قوتين متضادتين او بنفس الحجم. والقانون الثالث لنيوتن مكتوب بهذه الطريقة: التعبير عن تناقض. ولكن هذه حالة خاصة.

قبل أن نناقش وجود قوتين او أكثر ، دعونا نفحص حالتى (٠) و(١).

حتى مع حالة ابهام (القوة) فمن المنطق ان نضفي صفة (ميت) على نظام بلا قوة او حركة او ميول . والاعتراض هو انه هناك الكثير مما يحدث للجنة المدفونة : نعم (لل) وليس (داخل). ان القوى هي من خارج النظام وليس من داخله كما يحدث في الكائن الحي.

دعنا نرى مثال الجري. الجسم يبذل طاقة والقوى المضادة تسرع بالاعلان عن نفسها بشكل تعب في محاولة لتغيير الحركة الى لا حركة نطلق عليها اسم (راحة). والنظير الميكانيكي يأتي بفكرة (ر) وهو محصلة قوة متغيرة تعكس حجم واتجاه كل القوى. وسوف يتحرك النظام او يتوقف مع

وطرد. وهذا ما يجب ان ينهار ويسقط ويختفي. واذا اختفت الامبراطورية الامريكية ، ستظل هناك صراعات الطبقات والاجيال والجنس والامم ولكن اليوم تلك هي المشكلة الرئيسية.

قد تقوي التناقضات الاربعة عشر العزم على الحفاظ على الاربعة. في البداية واحدة بعد اخرى. نعم . قد تضاف مساحيق التجميل، وتجري تسويات ويتم اسكات الناس الذين يشيرون الى التناقضات او الهزء بهم او مطاردتهم وقتلهم. ومن خصائص التناقضات بين الامم المقهورة والامم القاهرة انها تبرز مرة اخرى وتجد منافذ جديدة. ان المقهورين يواجهون قوة وحشية ولكن مايزيد عزمهم هو حلمهم بوطن يمكن تحقيقه وهو حلم لم يختبر ولم تغشاه التناقضات بعد بعكس الامبراطورية التي أختبرت ووجدت انها غير قابلة للتطبيق والاستمرار.

ان الانحلال قد لايلغي التناقضات الاربعة . ومانتحدث عنه هنا هو تلاشي الايمان بقابلية تطبيق نموذج الامبراطورية، الذي يبدأ بمظاهر الغضب الشديد اولا ثم بالتخلي عنها طواعيا او لا اراديا. اما ان يرخي المركز قبضته بارادته ، او تنزلق الاطراف من القبضة التي يعتريها الوهن. وفي كلا الحالتين يحدث الانهيار والسقوط. على اية حال ، بعد مرحلة من الانحلال ، تقرر طبقة سياسية جديدة ان تتشبث بدلا من ارخاء القبضة كما تفعل الولايات المتحدة حاليا. ولكن كما هو معروف من ان دوام الحال من المحال ، فهذا من شأنه تأجيل المحتوم فقط. ان ابطال الاربعة لايعني بالضرورة ابطال الاربعة عشر. وكما اسلفنا، هناك جذور كثيرة لكثير من

يأتى بنا الى الفرق الرئيسى بين **التناقضات الذاتية** (subjective) و**الموضوعية** (objective) .

يمر التناقض الذاتى وينعكس من خلال العقل البشرى، مثل الفكرة/الوعي، والكلام/النطق، والحدث/التحريك. ولكن ليس بالضرورة بهذا التتابع. وهذا مايفعله الفيلسوف الذى يتأمل ثم يكتب ثم - قد لايفعل شيئاً. ومن الافضل ان نفترض التتابع المعكوس: اللاعب يتحرك للفعل حسب ما اعتاد عليه ثم يقول مايشعر انه يفكر به ثم يفكر مايشعر به. او اي تتابع آخر، ولكن فى كل الاحوال يظل الوعي حاضراً.

بوجود هدفين يكون لدينا قوتان تسعيان للاهداف هما (أ) و(ب) وثلاثة احتمالات لمحصلة القوى (ر = أ) أ يكسب أو (ر = ب) ب يكسب أو (ر = ٠)، او توازن وسط بين هذا وذاك وهو مانسميه (تسوية).

عند هذه النقطة **ينهار التناظر** ، ولاتنتهى الحالات الثلاثة الاحتمالات. ولا تقضى على التناقض ، وفوز (أ) و(ب) لايعنى ان الخاسر لم يعد لديه نفس الهدف اوهدف آخر غير منسجم مع هدف الرابح. مازال التناقض موجوداً تحت غطاء مرجل المهزوم. وقد تؤدي التسوية الى عدم رضاء الاثنين. فإذا كنا نصف التناقض بأنه (حاد) فإن افضل وصف للتسوية هو انها (مثلومة). ولكن كيف نتجاوز التناقض؟

طالما ان الاحتمالات الثلاثة تؤدي الى اجهاد منطق القوى المضادة داخل نظام ما ، فالجواب هو (بتغيير النظام) . هذا هو ماواجهه غورباتشوف فى حالة التناقض بين الامبراطورية السوفيتية

محصلة القوة (ر < ٠) يعنى تحرك و (ر = ٠) تعنى توازن و (ر > ٠) تعنى نقص الراحة.

هل القوة تصاحبها دائماً قوة مضادة؟ هل لابد من رد فعل على الفعل؟ وفي الانظمة صاحبة الرؤى المستقبلية هل يمكن ان يكون هناك فعل مؤيد لكل فعل متوقع؟ وفعل مؤيد للمؤيد؟ لقد وجدت هذه البديهية مفيدة جداً فى تحليل الانظمة الاجتماعية والفردية. ولكنى لا ارى سبباً لافتراض ان رد الفعل والفعل المؤيد هما بالضرورة متضادان. فمن الممكن ان يكونا على خط واحد مع الفعل، على الاقل ، دعم الفعل.

إن فكرة توائم (القوة - القوة المضادة) قد تؤدي بنا الى عدد قوى زوجي لأنها تأتي ازواجاً وليست فرادى ولانقول ان الواحدة تؤدي الى او تولد الاخرى لأن ذلك قد ينتج اعداداً لامتناهية . وانما نفترض انها مترامنة: اي (تنشأ معا) كما قد تسميها **نظرية المعرفة البوذية**، بدلا من قوة تولد التالية وهذه تولد التي بعدها وهكذا الى ما لانهاية. ويمكن ان نشبهها بحزمة قوى تسبب بشكل ما **الاجهاد داخل النظام** .

ولكن دعونا ننتقل من الحديث العام عن (الانظمة) و(القوى) الى انظمة اجتماعية وفردية معينة. وقريب منها فكرة (الصراع) كاجهاد فى الانظمة الساعية للاهداف بسبب انعدام الانسجام بين الاهداف . ويمكن بعدئذ ربط الاهداف بالحياة . اذا كانت الاهداف غير المنسجمة فى نفس النظام فلدنا معضلة هنا. واذا فى انظمة مختلفة فلدنا صراع هنا. اذا كان حامل الهدف واعياً بالهدف فهو لاعب اما اذا لم يكن واعياً فهو طرف. وهذا

- بدون او مع وساطة اطراف خارجية
- بمركزية اقل او اكثر

(٥) نتائج الصراع

- (أ) غلبة او تسوية - رجوعا الى المراحل من (٠) الى (٤)
- (ب) تجاوز = واقع جديد

- تجاوز سلبي تحت لاعب جديد

- تجاوز ايجابي كازدواج جديد

خلال تتابع (١) - (٢) - (٣) يصبح طرفاً ما، لاعباً يسعى نحو هدف بأساليب مناسبة لحد ما، منتقاة من (٤).

و (٥أ) لاينهي دورة حياة تناقض ما ، وانما يحكم غطاء فوقه كما اوضحنا في اعلاه. أما (٥ ب) التجاوز فهو نهاية دورة حياة التناقض. وهذا لايعني انه نهاية / موت النظام لانه ربما مايزال يحوي متناقضات اخرى في مراحل دورة حياة مختلفة.

ان التجاوز هو خلق واقع جديد:

- التجاوز السلبي (لا هذا ولاذاك) والاهداف غير محققة.

- التجاوز الايجابي (كل من هذا وذاك)

الاهداف محققة ، مع انعطاف.

خذ مثالا صراع الاكوادور وبيرو حول مكان رسم الحدود في منطقة متنازع عليها في جبال الانديز تبلغ مساحتها ٥٠٠ كم مربع . وقد جرت بينهما ثلاثة حروب من اجل تسوية القضية. ان انتصار احد الطرفين والحاق المنطقة بالاراضي الوطنية له هو (غلبة) ، اما رسم الحدود مثلا عند خط وقف

والقوى الاجتماعية الرامية الى التغيير الجذري في المانيا الشرقية ، وهكذا تخلص عن المانيا الشرقية. ثم التناقض بين الشعب وصفوة الحزب في المانيا الشرقية، والذين سلموا لالمانيا الغربية فاحتوتهم. ونتيجة لذلك انهارت وسقطت الامبراطورية السوفيتية. ورغم ان المانيا الغربية قد احتوت المانيا الشرقية ولكن التناقض مازال قائما وان كان يجد له متنفسا بأشكال اخرى.

هذا مالم يستطع خلفاء غورباتشوف ان يفعلوه مع الشيشان. كل الذي فعلوه هو منعهم من الانتصار وليس تجاوز التناقض. ومن اجل تجاوز التناقض عليهم ان يتخلوا عن الشيشان ، وهو ماسيحدث آجلا او عاجلا .

من اجل تجاوز التناقض ، والتنفيس عن الضغط ، يجب تغيير النظام ، وكلما كان التناقض اعمق كان الاحتياج اشد لتغيير النظام. ان الامبراطورية لا تتغير باضطهاد او الانتصار على طرف او حتى لاعب، هذا يجعل الامبراطورية اكثر امبريالية . ان تغير الامبراطورية يحدث عندما تقلل من امبرياليته. وهذا بالتالى يؤدي ايضا الى انهيار وسقوط الامبراطورية.

ويمكن تخيص مراحل دورة حياة التناقضات:

- (٠) تناقض موضوعي لايعتمد على الوعي
- (١) تشكيل الوعي من خلال الفكر (داخل الذات)
- (٢) النطق من خلال الكلام (داخل الذات)
- (٣) التحريك من خلال الفعل (خاص و/او عام)
- (٤) الصراع بين اللاعبين المحركين

- عنيف او سلمى

- سريع او بطيء

متناغم مع مركز مصالح الدولة /الشركات . وينبغي على المركز العراقى ان يؤدي المهام الاربعة محليا ويسلم ثمار تبادل غير متكافىء مثل القيمة الاقتصادية ، والارهابيين المطلوبين والانصياع والتكيف مع المركز الكبير (امريكا وبريطانيا) مع الاحتفاظ بعمولة سمسة . ويكافأ العراقيون بمستوى معيشة مادي يشابه الموجود في الولايات المتحدة .

ماوصفناه آنفا هو امبراطورية بسيطة تربط ثلاثة انظمة ذات تبادل غير متكافىء اثنان منها محلي وواحد عالمي . ولكن الامبراطورية الامريكىة معقدة ، وبكونها مهيمنة على العالم فليس هناك نظام محلي منفصل عن تلك الامبراطورية . الامبراطورية الاوربية تربط ١٥ (ستصبح ٢٥) دولة (مركز) مع ١٠٠ دولة اطراف ولكن بشكل نام .

هناك تقسيمات اخرى غير خطوط الصدع في المجتمع المحلى والدولى مثل ما بين الاحزاب السياسية في المجتمعات الديمقراطية نوعا ما ، ومجموعات الدول في نظام عالمي غير ديمقراطى . ان الحركات الاجتماعية والتناقضات الذاتية الواعية الى حد ما يعبر عنها وتحرك عبر بعض خطوط تقسيم جديدة ، تكون جاهزة لصراع (٤) . ولكن من اجل ماذا ؟

ونظريا ، اذا كان في التناقض الموضوعى نقطة خلاف (issue) لم تحل في المركز ، فإنها تتحول بعدئذ الى قضية الحركة . (cause) وهذا يسبب مشكلة اساسية لعدم كفاءة الازدواج بين التناقضات الذاتية والموضوعية وبين القضايا ونقاط الخلاف . وكلاهما جزء من الواقع الاجتماعى . ولكن اذا كانت الحركات تفتقر الى الوعي مما يجعلها تتناول

اطلاق النار هو (تسوية) . اما التجاوز السلبي فهو وضع المنطقة تحت اشراف الامم المتحدة وبذلك خلق واقع اجتماعى جديد . ويمكن ان يكون التجاوز الايجابى منطقة مشتركة للشعبين بدون احتكار دولة لهذه المنطقة . هذا واقع جديد . وكلا الواقعين والنظامين الجديدين يمكن بدورهما ان ينتجا تناقضاتهما الخاصة .

لقد حان الوقت لاستكشاف العلاقات الاجهادية بين التناقضات الذاتية والموضوعية . ان النظام الاجتماعى يضم اختلافات بين الاصناف - مثل الجنس والاجيال والاعراق والطبقات والقوميات و الاراضى . وتصبح هذه العلاقات فيما بعد علاقات في نظام داخلى الفعل . والتي تصبح فيما بعد خطوط الصدع ، وذلك لأن الفعل الداخلى يعتمد عادة على شروط غير متساوية ، مما يمكن ان يؤدي الى القطبية و هيكل قائم على التمييز العنصرى تصاحبه ثقافة تحيز . وكل المجتمعات المعروفة تحتوي على شيء من هذه اللامساواة والظلم .

وتستخدم الامبراطورية مثل هذه الهياكل والثقافات كحجارة بناء ويمكن ان تصبح نظاما ذا طبقتين او اكثر يربط معا خطوط الصدع الداخلية والعالمية . هناك مركز واطراف في النظام العالمى للدول . داخل المركز وداخل الاطراف هناك ايضا مراكز واطراف ، وكل الانظمة الثلاثة يمكن ان تعتمد على منطق الظلم الرباعى .

ان مسمار دولاب النظام هو التناغم بين المركز (الصغير) في (المركز الكبير) والمركز (الصغير) في الاطراف . والولايات المتحدة حاليا (صيف ٢٠٠٣) تحاول اعادة بناء مركز (صغير) عراقى

هذا مثال من **النرويج**: كان التناقض الموضوعى قبل قرن بين (المرفهين) و(جمهور) الاغلبية. في عناصر المعيشة والتناقض الموضوعى في نظام الحزب . كان **جمهور الاغلبية** يعيشون من الزراعة وصيد السمك والطرائد الاخرى والوظائف اما **المرفهون** فقد كانوا يعيشون من الثروة كاصحاب عمل او يملكون مشاريعهم الخاصة. وكانت هناك مناطق رمادية . وقد خلق حزب العمل من خلال عبقرية سياسية تحالفا للمزارعين والصيادين وعمال الصناعة في مقابل **المرفهين**. وقد فاز التحالف بالانتخابات وحكموا لمدة عقدين من السنوات وخلقوا واقعا اجتماعيا جديدا . هو دولة الرفاهية.

وكان هذا المجتمع يملك تناقضاته الموضوعية الخاصة به حيث كانت هناك اقلية من النساء المتقدمات في السن والعمال الاجانب الضعفاء والمعوقين في مقابل الاخرين. وبما ان التناقض الموضوعى لم تقابله تناقضات ذاتية كافية ، فقد تعمق هذا التناقض في وسط الوفرة . لم يكن لدى حزب العمل الكفاءة اللازمة. وبقيت المسألة معلقة لم تحل .

الحركات ضد الامبراطورية الامريكية

الواقع الاجتماعى معقد فقط عندما تتزامن/تتطابق القضية (cause) مع نقاط الخلاف (issue) تكون الحركة عندها وافية بالمراد .

**المصدر www.transcend.org 16/9/2003

***يوهان غلتونج** Johan Galtung نرويجى ولد في أوصلو عام ١٩٣٠ ، أستاذ دراسات السلام ، مدير شبكة Transcend للسلام والتنمية ، مؤسس معهد ابحاث السلام الدولية في ١٩٥٩ ، مؤلف عدة كتب ونظريات ، حاصل على عدة جوائز عالمية و ١٠ شهادات دكتوراه فخرية من جامعات في انحاء العالم .

نقاط الخلاف بشكل خاطيء، فإن نقاط الخلاف هذه يمكن ان تصبح مثل **يتم ينتظر ان تلتقطه حركة واعية** . وقد يكون هناك تناقض بين تناقض الحركة وتناقض نقطة الخلاف وتكون النتيجة سياسة فاسدة وخارجة عن المسار.

وهكذا فإن التناقض الذاتى في ماينمار/بورما ، بين الحكومة العسكرية الاوتقراطية و حركة ديمقراطية ترأسها امرأة تمثل شعبا في مجتمع متعدد القوميات، وهي امرأة من طبقة متوسطة عالية في مجتمع فقير جدا ، متزوجة من رجل غربي في بلد يحاول ان تكون له هويته الخاصة ، وقد يكون هذا التناقض غير كاف امام التناقضات الموضوعية للبلاد. ومن وجهة نظر غربية فإن التناقضات الاساسية هي الاوتقراطية مقابل الديمقراطية (الغربية) والانعلاق مقابل افتتاح دولة امام التغلغل الاقتصادى والثقافى. ان التناقض الذاتى مناسب لنقاط الخلاف. ولكن ينبغى ان يكون الموضوعى والذاتى مرآة بعضهما البعض.

وهكذا كان على **غاندى** ان يجرد - حرفيا - نفسه من غربيته ومن ممتلكات طبقته العالية المميزة لدى مجتمع الهندوس ويشارك الظروف المعيشية للطبقات الدنيا وطبقة المنبوذين قبل ان يستطيع قيادة شعب الهند نحو الحرية والديمقراطية. ولكن زعيم الهند الحرة **جواهر لال نهرو** كان غربيا جدا ومن طبقة اجتماعية عالية جدا وعلمانى جدا وقد قاد الهند في ذلك الاتجاه. كان **غاندى** ينشد بلادا مؤسسة على (دوائر المحيط) متمثلة بقوى تحكم وتعتمد على نفسها. اما **نهرو** فقد كان يريد بلادا حديثة وعلمانية وصناعية واشتراكية. ان التناقض الذاتى مهم.

يميل الليبراليون الى دراسة الحركات الذاتية بينما يفضل الماركسيون دراسة الحركات الموضوعية. والتفضيل هنا هو لـ (كل من هذا وذاك) وخاصة التناقض بين متناقضين.

الإمبراطورية الأميركية.. صعود أم سقوط؟

بقلم/برهان غليون/ كاتب سوري - ٢٠٠٦/٥/١٧

ليس هناك شك في أن الحدث الأبرز على الساحة الدولية منذ انهيار الاتحاد السوفياتي وانحسار الشيوعية التي بقيت تشكل الشبح الذي يقض مضاجع الدول الصناعية الكبرى خلال أكثر من قرن، هو الصعود الثابت والمستمر للولايات المتحدة الأميركية إلى قمة الهرم العالمي وتبوؤها الفعلي، إن لم يكن موقع القيادة والقرار بالمعنى الشرعي للكلمة، فعلى الأقل موقع التفوق والريادة في العديد من الميادين الإستراتيجية أو ذات الأبعاد الإستراتيجية بالنسبة لعالمنا المعاصر.

ويتجاوز حجم الاستثمارات الأميركية ٤٠% من مجموع الاستثمار العالمي في حقل المعلوماتية، حيث يبلغ نصيب الفرد الأميركي من الإنفاق على تقانة المعلومات وحدها ضعف الإنفاق الأوروبي وثمانية أضعاف الإنفاق العالمي. ويشبه ذلك وضعها في ميدان البحث والتطوير التقني بشكل عام.

أما العامل الثاني فهو من دون شك التفوق العسكري، الذي جعلها منذ الحرب العالمية الثانية تظهر بوصفها القوة القارية الاستثنائية الوحيدة القادرة على حسم المعارك والحروب الدولية ووضع حد لها سواء أكانت في أوروبا أو خارجها.

ومن هنا وبعكس ما قد يبدو للرأي العام من مظاهر مفاجئة، لم يبدأ الصعود في وزن الولايات المتحدة الإستراتيجي مع نهاية الحرب الباردة في التسعينات ولكنه بدأ قبل ذلك بكثير، وكان البرهان

عليه هو الدور الكبير والحاسم الذي لعبته هذه الدولة في الانتصار على ألمانيا النازية.

وفي ما وراء هذه الهزيمة التي كرسست التفوق الإستراتيجي الأميركي وأخرجت أميركا خارج حدودها القارية، أتاحت هذه الحرب للولايات المتحدة أن تفرض نفسها كقائدة للمعسكر الرأسمالي منذ ذلك الوقت بقدر ما كشفت عن هشاشة الأسس، التي كانت تقوم عليها سيطرة الإمبراطوريتين السابقتين الفرنسية والبريطانية اللتين تحكما في مصير العالم خلال القرن السابق.

وبتقويضها لهاتين الإمبراطوريتين الخاويتين وإجهازها -في طريقها- على جنين الإمبراطورية الألمانية الصاعدة للحلول محلها، نقلت الحرب العالمية الثانية مركز القوة والثقل في العالم بشكل حاسم من القارة الأوروبية إلى القارة الأميركية.

ومن الواضح أن معادلة القوة لم تختلف منذ ذلك الوقت. فموقع الأرجحية الجيوستراتيجية الذي انتزعتها الولايات المتحدة على الساحة الدولية، بفضل مساهمتها الرئيسية والمحورية في حسم الحرب العالمية الثانية، لا تزال تحتله إلى اليوم، بفضل مساهمتها الفعلية في حسم الحرب الباردة التي وضعت المعسكر الشيوعي خلال عدة عقود في مواجهة معسكر الرأسمالية، وهو الموقع الذي لا تزال تحتله أيضا إلى اليوم أي بعد عقدين أو أكثر، لأنها لا تزال الدولة الوحيدة التي تمتلك من وسائل العنف المادي والنفوذ المعنوي معا ما يمكنها من حسم أي حرب أو نزاع في أي منطقة من مناطق العالم، في حين لا تستطيع أكبر دولة تأتي بعدها أن تفعل ذلك حتى لو عبأت جميع قدراتها لتحقيقه.

عنوان المركز الإلكتروني: alkashif.org

ولا يزال الاعتقاد قويا لدى الرأي العام العالمى الرسمى والشعبى، بأن المنظومة الدولية ما كانت لتقوم من دون الدعم المادى والمعنوى للولايات المتحدة، وعلى رأس هذه المنظومة هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها الفرعية، وأن انسحاب الولايات المتحدة من إحدى هذه المنظمات يمكن أن يقود إلى تقليص كبير فى نشاطها إن لم يؤد إلى شلها.

ومن هنا لا تبدو القيادة الأمريكية للعالم طبيعية فى الحقة التاريخية الراهنة فى نظر الرأي العام فحسب، ولكنها ربما بدت ضرورية أيضا. فليس هناك قوة أخرى قادرة على صوغ أجندة عالمية وحل الخلافات وضبط النزاعات الدولية وبالتالي المساهمة فى ضمان الأمن والاستقرار والقانون فى العالم غير القوة الأمريكية.

وليس لهذا الموقع علاقة برغبة الولايات المتحدة وإرادة زعمائها، ولكنه ثمرة طبيعية وانعكاس مباشر للوزن الفعلى العسكرى والاقتصادى والسياسى، الذى يسمح لها بحيازة هبة وسمعة ونفوذ لا يمكن لأية قيادة أن تقوم من دونهما. وليس هناك قوة اليوم، لا فى الدول الصناعية الكبرى ولا فى الدول النامية تتمنى أن تتسحب الولايات المتحدة من الشؤون العالمية، وفى مقدمتهم الدول العربية التى لا يضمن وجود معظمها واستقراره النسبى إلا الغطاء الأمريكى، بما فى ذلك بلدان غير أمريكية النزعة، ليس تجاه التوسعية والعدوانية الإسرائيلية فحسب، ولكن تجاه بعضها البعض أيضا. وليس هناك قوة أيضا فى العالم ترفض هذه القيادة أو تعترض عليها.

إن ما يثير حفيظة الرأي العام العالمى فى أوروبا وآسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية والعالم العربى معا

ويكفى أن نذكر بأن المنظومة الإستراتيجية الأمريكية لا تزال تحظى اليوم بمخصصات تتجاوز فى الحجم مخصصات جميع القوى العسكارية التابعة للدول التى يمكن أن تنافسها وتقارب مبلغ ٤٠٠ مليار دولار.

هذه هي العناصر التى تستند إليها السيطرة الأمريكية، وهي التى تجعل من الولايات المتحدة القوة العالمية الوحيدة القادرة اليوم على بلورة إستراتيجية عولمية أو على مستوى العالم. وهذه الإستراتيجية العولمية أو الميغاستراتيجية هي التى تسمح للولايات المتحدة بأن تموضع نفسها ونشاطاتها الداخلية فى إطار عالمى، وأن تربط بين مصالحها الخاصة القومية والسياسية وحركة تحول وتشكل العالم، أي أن تجعل قيادة العالم وتوجيه حركته جزءا من أجندتها القومية.

وليس هناك حتى اليوم فى مواجهة الولايات المتحدة، بعد انهيار الاتحاد السوفياتى الذى كان يشكل قوة عظمى أو قطبا منافسا بالمعنى نفسه، أي دولة أخرى قادرة على وضع إستراتيجية عولمية أو صوغ أجندة دولية أو تأمين وسائل تحقيقها المادية والمعنوية.

لكن رغم هذا التفوق الأمريكى الذى لم يأت كما رأينا من فراغ، ولكنه جاء نتيجة إمكانيات الولايات المتحدة وحجم استثماراتها أيضا فى ميادين النشاط الاقتصادى والعسكرى والتقنى والعلمى الرئيسية، لم يكن أحد يشعر بخطورة هذا التفوق أو خطره قبل نهاية الحرب الباردة. بل لم يكن أحد يرفض هذه القيادة أو يعترض عليها.

وقد أرادت الولايات المتحدة أن تستخدم الموقع القيادي والهيمني المتميز الذي تحتله منذ نصف قرن من دون منافس في سبيل حل مشاكلها الداخلية، سواء من خلال السيطرة على الموارد العالمية الحيوية مثل الطاقة، أو عبر تبني سياسة هجومية تردع الدول الأخرى وتساهم في تعبئة الروح القومية والتغطية على الأزمات الداخلية. وهذا هو في الواقع مضمون السياسة الإمبريالية الجديدة التي وسمت بالإمبراطورية.

وليس هناك شك في أن الإدارة الأمريكية الجمهورية المحافظة قد وجدت في أحداث سبتمبر/أيلول ٢٠٠١ المأساوية، فرصة لا تعوض لتضفي على سياستها هذه بعض الشرعية بقدر ما أتاحت لها هذه الأحداث أن تظهر سياساتها الهجومية والتسلطية الجديدة المنفلتة من أي التزام قانوني أو أخلاقي، على أنها ضرورية في سبيل القضاء على الإرهاب العالمي، وإزالة أسلحة الدمار الشامل التي تهدد الأمن والسلام الدوليين.

يتطلب فهم مصير السيطرة الأمريكية إذن، التمييز بداية بين الأسس التي تقوم عليها القوة الأمريكية والتي تؤهلها للعب دور مركزي ومحوري في سياسات العالم - بل تفرض عليها مثل هذا الدور - من جهة، والظروف الاستثنائية التي دعته إلى أن تستخدم دورها المركزي هذا لتطوير سياسة هجومية وانفرادية إمبراطورية، معتمدة بشكل رئيسي على القوة والتهديد بالقوة تسببت لها بخلافات عميقة حتى مع أقدم حلفائها العسكريين والسياسيين وشركائها الاقتصاديين في أوروبا من جهة ثانية.

ويدفعه للوقوف في وجه السياسة الأميركية اليوم، هو بالأحرى الطريقة التي أصبحت الولايات المتحدة في الأعوام الأخيرة تمارس بها دورها القيادي العالمي هذا الذي تعترف لها به المجموعة الدولية.

فالواقع أن الولايات المتحدة التي قادت العالم الرأسمالي أو الليبرالي خلال نصف قرن في مواجهة النازية ثم الشيوعية، قد جنحت - بعد زوال الحرب الباردة - ومع انسحاب القطب الثاني المنافس من المسرح، أعني القطب الشيوعي، إلى تحويل القيادة التي هي عمل تفكير وتنظيم ومسؤولية جماعية وبالتالي مساهمة إيجابية، إلى سيطرة أو تسلط على الشؤون العالمية.

وهذه الطفرة التي دفعت الولايات المتحدة إلى استغلال موقع القيادة لتحقيق السيطرة العالمية، والذي جعلها تتصرف في العالم أجمع كما لو كان حقل صيد، تصارع فيه بكل قوتها الاستثنائية لتحتكر عناصر وموارد قوته المادية والمعنوية، لم تكن النتيجة الطبيعية لزوال الحرب الباردة. كما أنها ليست المحصلة الحتمية لغياب قوة ثانية مكافئة في الوزن تقف في مواجهتها.

إن سببها الرئيسي هو الأزمة العميقة التي دخلت فيها الديمقراطية الأميركية لأسباب داخلية، تتعلق بمأزق النمو الاقتصادي الذي تواجهه الرأسمالية العالمية والأميركية بشكل خاص، وخارجية ناجمة عن التهديدات المتصاعدة، التي تمثلها التكتلات والقوى الدولية المتنامية، سواء في أوروبا التي نجحت في تحقيق وحدتها، أو في الصين التي تسير بخطوات عملاقة لفرض نفسها كأحد الاقتصادات الأكثر نماء في العالم.

وبالمثل فإن تورط الولايات المتحدة المتزايد في الحروب الإقليمية البعيدة عنها سوف يشكل لها استنزافا ماديا ومعنويا يجرمها من فرص الاستعادة من التوسع العالمي والتحكم بالموارد الإستراتيجية في سبيل حل مشاكلها وأزمته الاقتصادية الداخلية.

وفي جميع الأحوال يبدو لي أن المحتوى الأعمق للسياسة الأميركية الخارجية الراهنة، هو هرب واشنطن إلى الأمام تحت قيادة تياراتها اليمينية وفي مواجهة استحقاقات السياسة الداخلية والعالمية، وأنه حتى لو نجحت إدارات الولايات المتحدة في تأجيل هذه الاستحقاقات أو حرف انتباه الرأي العام الأميركي والعالمي عنها لبعض الوقت، فلن تتجح في إلغائها، أعني استحقاقات بناء نظام عالمي متعدد الأقطاب تستطيع جميع القوى والمجتمعات أن تعبر فيه عن نفسها وبتقوى مع المتطلبات الموضوعية للعولمة الزاحفة ولحاجات إيجاد حلول جماعية للمشاكل الدولية يستدعي لا محالة - هو نفسه- مساهمة جميع الأطراف وإشراكها في المسؤولية.

بيد أن القول بأن سياسة الإدارة الأميركية الإمبراطورية هذه لا يمكن أن تستمر وسوف تصل إلى طريق مسدود، لا يعني أن الولايات المتحدة لن تستمر فيها أو أنها لا تملك الإمكانيات المادية والمعنوية لخوض معركة الاحتفاظ بقيادتها المنفردة للعالم حتى النفس الأخير.

فمن المؤكد أن واشنطن قادرة على خوض حروب طويلة ولديها القدرة على ذلك. بل ربما شكلت هذه الحروب اقتصاديا وسياسيا المخرج الوحيد للأزمة العميقة والبنوية التي تعاني منها الرأسمالية الأميركية التي لم تظهر بعد مشاكلها الحقيقية كلها.

وإذا كان أحد لا يشك في أن الولايات المتحدة ستبقى القوة الأعظم في جميع ميادين النشاط الاقتصادية والعسكرية والتقنية والعلمية ، على مدى العقدين القادمين على الأقل، وبعض الباحثين يعتقد أنها ستحافظ على تفوقها خلال القرن الواحد والعشرين كله، فإنني من الذين يعتقدون بالمقابل أن السياسات الجديدة التي تبلورت على يد الإدارة الأميركية الجمهورية في عهد الرئيس جورج بوش الابن لا يمكن أن تستمر ومن الممكن أن تقود الولايات المتحدة إلى مأزق عديدة.

وبدل أن تساهم في حل الأزمات التي كانت وراء بلورتها ، وهي قطع الطريق على نشوء عالم متعدد القطبية تدخل فيه بعض القوى الكبرى شريكة للولايات المتحدة في تقرير المصائر العالمية وصوغ الأجندة السياسية الدولية والتحكم بالموارد الخارجية الإستراتيجية، لحل أزمة النمو والتوسع الرأسمالي الداخلية، سوف تؤدي إلى تعميقها. فهي بقدر ما توحد المجموعة الدولية ضد واشنطن تهدد أسس الهيمنة والقيادة الأميركيةيتين القائمتين على النفوذ السياسي والمعنوي أكثر من قيامهما على القدرة العسكرية.

ولابد لهذه السياسات الهجومية والإمبراطورية أن تدفع بالتالي إلى تكوين رأي عام رسمي وشعبي يفرغ الانفراد الأميركي من مضمونه ويفرض على واشنطن أن تراجع حساباتها وتقبل بمشاركة الأطراف الدولية الأخرى. وفي هذه الحالة يمكن للسياسات الأميركية المغامرة والممقوتة أن تكون السبب في التسريع بولادة نظام عالمي تعددي وقانوني معا.

فهذا الخيار هو الذي يضمن لها ترويض الرأي العام الداخلي الذي سيكون هو نفسه ميالا أكثر إلى الخيارات اليمينية مع تزايد الصعوبات الداخلية، وفي الوقت نفسه تحريك الآلة الصناعية عن طريق تعظيم الاستهلاك العسكري والسيطرة على الأسواق الخارجية.

وهذه التوقعات هي التي تدفعني إلى الخوف من أن يتجه العالم تحت ضغط هذه السياسة المنطرفة والمقاومات التي سيثيرها حتما، نحو مزيد من التفكك والفوضى، بدل أن يتجه - كما كنا نأمل وكما تعد الإدارة الأميركية- نحو مزيد من ضبط النفس والسيطرة على التناقضات الداخلية وبناء نظام عالمي قائم على التعددية والعلاقات الديمقراطية والقانون.

سقوط الامبراطوريات على ضوء فلسفة التاريخ

الدكتور الحاج علي فياض / مدير المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق - ٢٠٠٣/٤/٨

عقد، في مركز الامام الخميني (قدس سره)، في بيروت، يوم الثلاثاء الواقع فيه ٢٠٠٣/٤/٨م، ندوة فكرية عنوانها: «بنية العقل السياسي الامريكى، بين البعد الغيبي ومعطيات الواقع». تضمنت محورين: اولهما «صهيو مسيحية ام صهيو امريكى» تحدث فيه الدكتور القس رياض جرجور، الامين العام لمجلس كنائس الشرق الاوسط، وثانيهم «سقوط الامبراطوريات على ضوء فلسفة التاريخ» تحدث فيه الدكتور علي

ولذلك إذا كان من الصحيح أن أميركا لن تتجح في إخضاع العالم وقطع الطريق على بناء عالم جديد وأنها سوف تقع في مطبات عديدة وتواجه مقاومات فعلية تكلفها غالبا هنا وهناك، فإن من الخطأ أن نستنتج من ذلك أن واشنطن سوف تتراجع بسهولة أو أنها لا تملك النفس الطويل للاستمرار واستيعاب الهزائم والعودة مجددا للقتال.

ولا تمنع الصعوبات التي سوف تواجهها هنا وهناك الولايات المتحدة من خوض معارك أخرى وتوسيع دائرة الحرب العالمية التي تخوضها بالفعل من دون أن تذكر اسمها. بل العكس هو الصحيح.

إن جموح الإدارة الأميركية إلى توسيع دائرة الحرب تحت أسماء مختلفة كالحرب ضد الإرهاب أو من أجل تأمين السلام ونزع أسلحة الدمار الشامل أو ضد الأنظمة الدكتاتورية سيزيد بقدر ما تواجهه من صعوبات ومقاومات هنا وهناك.

ولذلك فإن من يراهن على صعوبات واشنطن في منطقة من المناطق متأملا أن تتراجع عن سياستها الهجومية سيكون واهما جدا، على الأقل في مدى السنوات القليلة القادمة.

والنتيجة أن القدرات والإمكانات الكبيرة التي تملكها الولايات المتحدة بالإضافة إلى الأزمة العميقة التي تعيشها الرأسمالية الأميركية والتي تتجسد بشكل أساسي في تراجع مردود الاستثمار بشكل كبير، تدفعني إلى الاعتقاد بأن الولايات المتحدة لن تتراجع بسهولة عن سياساتها الهجومية الراهنة، وسوف تستغل إمكاناتها الكبيرة لمتابعة الهجوم الخارجي.

فياض مدير المركز الاستشارى للدراسات والتوثيق، وقدم الندوة وأدارها أ. محمد فقيه.

تحدث د. فياض، بعد المقدمة عن مجموعة دراسات معاصرة تبحث في سقوط القوى العظمى، اولها كتاب لمؤرخ فرنسي اسمه «ايمانويل تود»، وهذا المؤرخ كان له كتاب صدر في العام ١٩٧٦ تحت عنوان: «ما قبل السقوط» تنبأ فيه بسقوط الاتحاد السوفيتي. وقبل اشهر صدر كتاب جديد له بعنوان: «نعي القوة العالمية الامريكية». هذا المؤرخ يقول: ان اميركا الآن، اي الولايات المتحدة الامريكية، تتمتع بجميع الاعراض الوصفية لسقوط القوى العظمى، ويحلل على مدى هذا الكتاب مستويات ثلاثة من الاعراض، هي: التحلل الداخلى، وإعراض معظم الاميركيين عن انتخاب قيادتهم، وصعود قوى عسكرية اولغاركية، اي اقلية متحكمة، الى السيطرة على القرار الاميركي.

وثانيها دراسة «ايمانويل فاليرشتاين»، وقد صدرت في آب الماضى من العام ٢٠٠٢م في مجلة شهيرة جدا هي «Foreign policy» تحت عنوان: «هبوط النسر الاميركي»، وتعالج هذه الدراسة القيمة صعود اميركا وهبوطها، ويستخلص كاتبه ان العوامل نفسها التي دفعت بالولايات المتحدة الاميركية الى الصعود بدءا من العام ١٨٧٣، وهي مرحلة بداية ازمة ركود عالمي اقتصادي وقتذاك استفادت منها اميركا كي تزيد حصته في الاقتصاد العالمي، هذه الاسباب هي نفسها تدفع اميركا الى الانحدار في هذا الزمن،

وهو يرصد بداية الانحدار الاميركي منذ السبعينات.

وثالثها كتاب ل«بول كندي» عن سقوط القوى العظمى وصعودها، ويعالج الكاتب فيه كيف ستسقط الولايات المتحدة الاميركية؟

ثم توقف د. فياض عند مؤرخين كبيرين، في الفكر السياسي الغربي، هما: «اوزوالد شبنغلر» الذي توفى في العام ١٩٣٦ و«آرنولد توينبي»، المؤرخ الشهير الذي توفي في السبعينات، وكلاهما كتب عن انهيار الحضارة الغربية. كتاب شبنغلر الذي كتب باللغة الانكليزية عنوانه: «تدهور الغرب»، وترجم الى اللغة العربية تحت عنوان: «تدهور الحضارة الغربية».

اما «توينبي» فيسال: لماذا تقوم الحضارات؟ ولماذا تنهار؟ ويجيب: ان الاحوال الصعبة هي التي تولد الاعمال المجيدة. ويستند الى دراسة ٢٦ حضارة بقي منها ست حضارات.

ثم يفصل في الكلام على بول كندي الذي تحدث، في كتاب له، عن خمس دول عظمى وبين كيف قامت وكيف سقطت. والفكرة الاساسية التي يطرحها يمكن اختزالها بمصطلح هو «فرط الامتداد الاستراتيجي»، او «الافراط في التوسع الامبريالي». ويلاحظ ان القوى العظمى جميعها، واميركا في الطليعة، كانت تحاول ان تتوفر على امرين: ان تحافظ على مستوى عال من الثروة، ومن ثم توظف هذه الثروة في اطار الاتفاق العسكري، ثم تعمل على توظيف الاتفاق العسكري في سبيل التوسع في الثروة. فهناك رابط وثيق بين التوسع الاقتصادي والتوسع الاستراتيجي

طبيعة اجتماعية وسياسية واقتصادية، واشهر هذه الآيات (واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا متر فيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) [الاسراء/١٦].

ثم يخلص الى القول: عندما نريد ان نجمع جميع هذه النظريات التي تحدثنا عنها: نظرية القرآن الكريم التي تتحدث عن الترف، ونظرية شبنغلر التي تحدثت عن الخواء الروحي، او الازمة الروحية التي تدفع بالمجتمع الى مرحلة التخشب، هذ المجتمع الذي يزهو بالعقلانية على حساب الوجدان، او نظرية توينبي التي تتحدث عن وجود طبقة مهيمنة تنتقل من كونه طبقة مبدعة الى كونها طبقة مهيمنة لا يهتما الا ان تمارس السلطة والمصالح الخاصة، اضافة الى نظرية بول كندي التي تعالج الجانب الاستراتيجى في تطور الحضارات، نلاحظ ان جميع هذه المعايير تنطبق على الولايات المتحدة الامريكية في هذه المرحلة.

ثم يعود الى دراسة كتبها، قبل اشهر، باحث اميركى شهير جدا، وهو «غور فيدال» تبين الى اى مدى تقوم هذه الادارة على خدمة مجموعة من الشركات المتعددة الجنسية، وهي تخوض حروبا عالمية في سبيل مصالح هذه الشركات، وليس من اجل مصالح الولايات المتحدة الامريكية.

ثم ينتقل، من اطار فلسفة التاريخ، الى معالجة ما يجري على المستوى العراقى في هذه المرحلة، فيرى انه مقدمة لاعادة تشكيل النظام الاقليمى برمته، واعادة رسم الشرق الاوسط باكملة.

ويخلص، في ما يتعلق بالحرب العراقية الامريكية، الى ان هذه الحرب تحتم خيارين متناقضين غاية

العسكري، لكن في لحظة من اللحظات تجد هذه القوى العظمى نفسها عاجزة عن الاحاطة بمختلف مصالحها التي توسعت فيها على المستوى العالمى عبر الحروب وابتكار مصالح ما وراء البحار في بلدان اخرى، فتضطر، في ضوء ازمة اقتصادية نسبية، الى ان تزيد من مستوى انفاقها العسكرى للحفاظ على مصالحها هذه، فهذا هو التناقض الذي يتولد بين مقومات النمو الاقتصادى وبين متطلبات الحفاظ على المصالح، في ما وراء البحار، وهذا ما يسميه بالضبط فرط التوسع الاستراتيجى، او التوسع الامبريالى الذي يعد المرض الاساسى الذي تحدث عنه مختلف المؤرخين في ما يتعلق بسقوط القوى العظمى.

وهذا بالضبط ينطبق على حالة الولايات المتحدة الامريكية، لانه يختم كتابه بفصل عن القوة رقم واحد: الولايات المتحدة الامريكية، ويرصد ما يفيد ان مختلف الاعراض التي مر بها الاتحاد السوفيتى تعاني منها الولايات المتحدة الامريكية، ولا يرى امكانية ما للتوفيق بين المتناقضين، فى هذه الموجبات، على المستويين: الاقتصادى والاستراتيجى التوسعى.

ثم ينتقل د. فياض الى الكلام على قضية القرآن الكريم واهلاك الامم، فيرى ان القرآن الكريم يتضمن عشرات الايات التي تتحدث عن اهلاك قرون سابقة واهلاك امم سابقة، وقسم من هذه الايات يتحدث عن العوامل الغيبية في اهلاك الامم، كم هي الحال مع قوم عاد (واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية) [الحاقة/٦]، لكن في صنف آخر من الايات لا يتحدث عز وجل عن العامل الغيبى في اهلاك هذه الامم، انما يتحدث عن عوامل ذات

التناقض، اذ يمكن ان تشكل بداية انحدار مربع في الواقع العربى بما يفضى الى تطبيق المشروع الامريكى، والانتقال من العراق الى ملفات اخرى، حيث يرجح ان يكون الملف الثانى هو الملف الفلسطينى، ومن ثم يستخدم الملف الفلسطينى اى التسوية للهجوم على سوريا على اساس انها ضد معسكر السلام وضد الحل فى فلسطين، فيمكن لهذا الخيار ان يكون خيار انحدار فى الواقع العربى. ومن ناحية اخرى يمكن لهذه الحرب على الضد تماما ان تشكل بداية انهيار فى موقع الولايات المتحدة الامريكىة على المستوى العالمى. والخيار الثانى طبعا هو الذى نامل ان يتحقق، وتحققه يرتبط بشرطين كبيرين هما: توفر ارادة محلية عراقية شعبية، وتوفر بيئة اقليمية استراتيجية مؤاتية تتاوى السياسة الامريكىة على المستوى الاستراتيجى.

ويربط نهاية الحديث ببدايته، فيرى ان كل قوة عظمى كانت تقع فى كمين تاريخى يفضى الى هبوطها. ويمكن ان يكون العراق الكمين التاريخى للولايات المتحدة الامريكىة...